تحت الضوء

فرنسا كرّمته أخيراً بوسام الفنون والآداب
سامي خيّاط: الفكاهة انتصار العقل على المأساة

انه احد رواد المسرح الساخر في لبنان. على مدى ستين عاما من مشواره الفني المستمر لغاية اليوم، رسم سامي خياط الابتسامة على شفاه جمهوره، خصوصا في المراحل الصعبة التي مر بها لبنان. في عز الحرب الاهلية، ظل نشطا يقدم اعماله الفكاهية في محاولة لتحدي الموت والكآبة والمآسي التي كانت محيطة بنا، وايضا انطلاقا من احساسه بالمسؤولية تجاه جمهوره

كل يحارب ويقاوم بالسلاح الذي يجيده، وسامي خياط كان لا يملك سوى الضحكة سلاحا. على مدى اجيال، حفظ اللبنانيون قفشات ومحطات من مسرحياته التي اختلطت بها الفرنسية بالعربية، في لعب واضح على الكلمات، كما واكبت هذه الاعمال الفنية المحطات الاجتماعية والسياسية والفنية التي عاشها لبنان من خلال التعليق عليها بسخرية وفكاهة وخفة. فوق هذا كله، ظل سامي خياط وفيا لقناعاته، على رأسها عدم الانزلاق الى السوقية، او الكلمات النابية او الاعمال التي تدغدغ الغرائز وتستنهضها. بالنسبة اليه، السخرية الراقية ذات فعالية اكبر في مقاربة مختلف الشؤون والسلوكيات.

"الامن العام" التقت الفنان اللبناني بعدما منحته فرنسا الشهر الماضي وسام الفنون والاداب من رتبة ضابط، هو الذي ربطته علاقة حب وشغف كبيرة بلغة موليير منذ طفولته في البيت وصولا الى اعتلائه خشبة المسرح.

■ منحتك فرنسا الشهر الماضي وسام الفنون والاداب من رتبة ضابط، كيف شعورك بهذا التكريم، خصوصا انك لم تُكرم رسميا في لبنان؟

□ فرنسا مشكورة لتقديرها الثقافة والفنون في العالم اجمع، وفي البلدان الفرنكوفونية، وخصوصا لبنان بحكم الصداقة والتعاون الذي يربط بين بلدينا. اعتبر ان هذه الالتفاتة ثمينة جدا بالنسبة الي شخصيا، وانا افتخر بها لانني كرست ستين سنة من اعمالي الفنية في محاولة مني لايصال الفن برقي قدر الامكان، مع تشديدي الدائم على حب المواطن اللبناني للغة الفرنسية، وعشقي الشخصي لها طبعا. لم اكرم في لبنان لان الرسمي لا يكرم مبدعيه وفنانيه الا على النعوش. لذا، اعتبر ان جمهوري الوفي هو الذي وضع اعلى رتبة من النياشين على صدري.

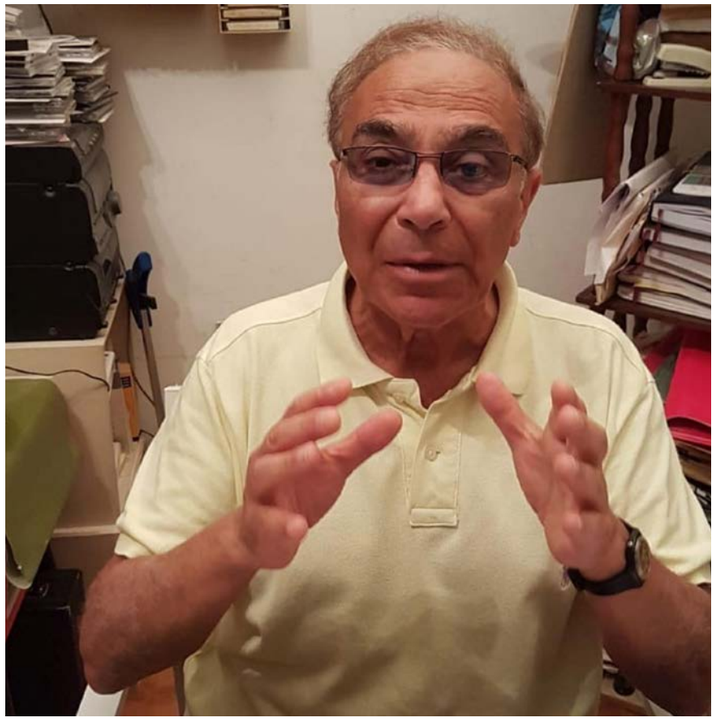

الفنان المسرحي سامي خياط.

> **الحروب تدفع مختلف انواع الفنون الى التبلور بدرجة اكبر**

■ عام 1960 قدمت مسرحيتك "موليير هوغو وسوفوكول"، ثم كرت سبحة الاعمال. ستون عاما مرت على مشوارك الفني الذي قدمت خلاله عشرات الاعمال، كيف تنظر وتقيم هذه المسيرة؟ هل انت راض عنها؟ هل تشعر بندم معين ربما؟

□ على مدى السنوات الستين، قدمتُ ستين عملا مسرحيا متكاملا، ما عدا الحفلات الخاصة العديدة والفواصل المتفرقة الكثيرة خلال اطلالاتي على التلفزيون وخصوصا الاذاعة. في خصوص تقييم هذه المسيرة، استطيع القول انني بقيت على المستوى نفسه الذي وضعته لنفسي منذ البداية. انا راض جدا، واذا كان هناك من ندم ما، فهو انني كنت استطيع ان اقدم المزيد وان تكون عطاءاتي اكثر.

■ في رأيك، كيف تنظر الى الوضع المسرحي اليوم مقارنة بما كان عليه قبل ستين عاما؟ ما الذي تغير؟

□ الوضع المسرحي تغير اليوم، وهذا طبيعي بحكم تبدل الجمهور وطبيعة المجتمع اللبناني الذي تغير هو ايضا. في الماضي كان هناك تركيز اكثر على الاحترافية والابداع الصرف. اما اليوم، فقد دخلت التكنولوجيا والتفلت الاخلاقي وغيرهما على الخط. مع ذلك، حافظ المسرح نوعا ما على سلوكيات لا بأس بها نسبة الى التفلت الموجود على جميع الاصعدة. لكن في كل الاحوال، وفي ظل هذه الظروف، يجب ان نوجه شكرا الى كل فنان ما زال ينتج اعمالا فنية. فنحن نتمتع بكم هائل من الفنانين الممثلين الذين يجيدون التمثيل. لكن في المقابل، نفتقر الى الكتابة والتأليف بشكل عام. فالتأليف غالبا ما يكون سطحيا، لاننا نفتقر في المقام الاول الى الخيال، فهذه الملكة تمد الفنان بالقدرة على تقديم كتابة ناشطة ودسمة في المسرح. ربما ايضا لان الظروف السائدة تقتل الابداع والخيال، ولذا نحت الاعمال الفنية الى الاستسهال على عكس ما كان سائدا في الماضي.

■ اخبرنا عن اعمالك خلال الحرب وكيف كانت الاجواء يومها؟ هل كانت الحرب بطريقة ما ملهمة للعمل الفني؟

□ خلال الحرب اللبنانية، لم تكن هناك مسارح كثيرة. بالنسبة الي، لم اتوقف بتاتا، بل استطيع القول انني كنت اكثر غزارة خلال الحرب. بمعنى ان كل مسرحية من مسرحياتي كانت تستمر عروضها على مدى سنة او اكثر. وكان من الصعوبة ان تجد مقعدا شاغرا في صالة المسرح. مرة، كنا نستعد لعرض مسرحية في بيت مري، وكانت القذائف تنهمر في الخارج، وكان صوتها عاليا جدا الى درجة ان الصليب الاحمر اتى الى الصالة وصار يدخل الناس اثنين اثنين الى الصالة، تحسبا لوقوع اصابات بشرية كبيرة، ◄

نقطة على السطر

إشتقنا إلى الضحك

يظن كثيرون ان الفن الجاد، الفن الملتزم، الفن المحترم، يجب ان يكون تراجيديا ووعظيا واخلاقيا. اي ان يكون عابسا، وثقيلا. ويظن هؤلاء ان الخفة والضحك هي من علامات الفن الهابط، والفن التجاري، والفن الاستهلاكي. يريد هؤلاء للفن ان يكون مملا، ان نخضع لجلسات جلد للذات وتعذيب كلما شاهدنا عرضا، او قرأنا نصا او سمعنا مؤلفا موسيقيا او وقفنا امام لوحة او منحوتة... طبعا ليس كل ما هو رصين وصعب وعميق وتراجيدي مضجرا ومنفرا بالضرورة. اذا فكرنا بهذه الطريقة، نكون شطبنا الجزء الاكبر من روائع الادب، وامهات المسرح الكلاسيكي والاوبرا... وصولا الى الفن السابع نفسه. لكن، في المقابل، ليست الكوميديا جناية على الفن، ولا صنفا دونيا نخجل من المجاهرة بحبنا له، او ادخاله الى صالوناتنا. ليس الضحك اسفافا، ولا جناية، ولا خيانة للفن الرفيع.

هناك كوميديا هابطة، وكوميديا راقية. غالبا ما كانت السخرية والهجاء والمبالغة والتضخيم والتهريج ـ والجرأة الصادمة احيانا ـ وغيرها من السمات والقوالب والاساليب التي يستبطنها الفن الشعبي، هي مصدر إلهام الاعمال الخالدة التي نعتبرها اليوم من كلاسيكيات التراث الانساني. نذكر سوفوكليس في المسرح الاغريقي، وننسى ارسطوفان... ننسى ان باستر كيتون وشارلي شابلن، لكن ايضا اسماعيل ياسين وعادل امام ودريد لحام، وكثيرين غيرهم في كل المجتمعات هم جزء اساسي من الابداع الراقي والفن الرفيع.

نقول ذلك والظلمة الحالكة تحيط بنا في هذه المرحلة، ونتذكر اننا اشتقنا الى الضحك. ليس الضحك تغريبا، وتفريغا وهروبا بالضرورة، بل هو ايضا وعي ونقد وانتقاد هادف للواقع من اجل تغييره... نعم الضحك يفرغ الشحنات السلبية ويحرر من القهر، وهو بوابة الامل، واستعادة التفاؤل بالحياة. الى جانب ذلك، الضحك مدخلنا الى التفكير والوعي السياسي حين يكون هادفا ونقديا.

هذا يأخذنا الى الحديث عن المسرح الساخر، ومسرح الشانسونييه والنقد السياسي المباشر، كما مارسه سامي خياط الذي نحتفي به في هذا العدد.

ليست مصادفة ان يكون فن "الشانسونييه" ازدهر في بيروت السبعينات، عاصمة الاحلام والنهضة العربية، والصخب السياسي والفورة الثقافية والاعلامية. كانت بيروت عاصمة الازدهار الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والثقافي، تتسع لهذا الفن النقدي والساخر الذي جسده "مسرح الساعة العاشرة". تتسع له وتحتاج اليه كطرف في المعادلة التي قامت عليها الديموقراطية اللبنانية انذاك. كان سامي خياط ورفاقه ينتقدون السياسيين، ويعلقون على الاحداث، ويعرون الخطاب السياسي، وفي الوقت نفسها يوجهون نقدا اجتماعيا الى زمنهم ومعاصريهم. عبر نقد السلوكيات والعادات والتقاليد والعقليات... كل ذلك من دون اي ادعاء، او فذلكة ثقافية، او فوقية ايديولوجية. الفن العفوي كما قدمه مبدعون ينتمون الى الناس والمجتمع ولا يتعالون عليهم.

لقد اشتقنا الى ذلك الزمن. لبنان مشتاق اليوم الى زمن الضحك.

سمير مراد

في حال استهداف المكان. طبعا، كنا مجانين، لكن كنا نشعر بمسؤولية وباننا مجبرون على الوقوف بجانب جمهورنا وتقديم الاعمال المسرحية له كي نرفه عنه في تلك الظروف الصعبة. مررنا بتجارب وامتحانات وتحديات كثيرة في تلك الفترة، حتى انه في مرات كثيرة كنا نقدم المسرحية وفجأة انهمرت القذائف، فكنا نقوي صوت الموسيقى في الداخل كي لا يسمع الجمهور ماذا يحدث في الخارج. وهناك مشهد مسرحي اشتهرت فيه هو مشهد العزاء، حيث اقلد الناس وهم يحضرون مجلس عزاء. حاولت حتى ان اخذ هذا الطقس الجنائزي الحزين الى فسحة ترفيهية، من خلال تقليد الناس كيف يتكلمون ويتصرفون في موقف مماثل، وتعرية السلوكيات الخبيثة احيانا في هذه المناسبة من خلال الفكاهة. في اختصار، كانت الاجواء مختلفة جدا في ذلك الزمن، وكان الجمهور اللبناني تواقا الى المسرح، لان الاخير كان فسحة امل ونوعا من متنفس كبير بالنسبة اليه. خلال الحرب، كان لبنان لا يزال متماسكا نوعا ما، ولم يصل بعد الى حالة الاهتراء التي يعيشها اليوم للاسف. الاجواء كانت افضل، والمودة كانت تسود بين الناس، والجمهور يتمتع بثقافة عالية، ولم تكن نسبة الهجرة كبيرة، وكان جيل الستينات من المسرحيين شابا ونشيطا ومبدعا. لذا، فحال المسرح كانت افضل بكثير مما هي عليه اليوم. ويمكن القول ان الحرب كانت ملهمة للعمل الابداعي، وكل شيء مأساوي يجعل الفنان يبدع ويخلق بنسبة اكبر، لانه يريد ان يتحدى المآسي والموت والكآبة. وهذا فعلا كان تحديا بالنسبة الي والى غيري من الفنانين. فالمآسي والحروب تدفع مختلف انواع الفنون من المسرح الى الموسيقى والشعر والرسم، الى التبلور بدرجة اكبر.

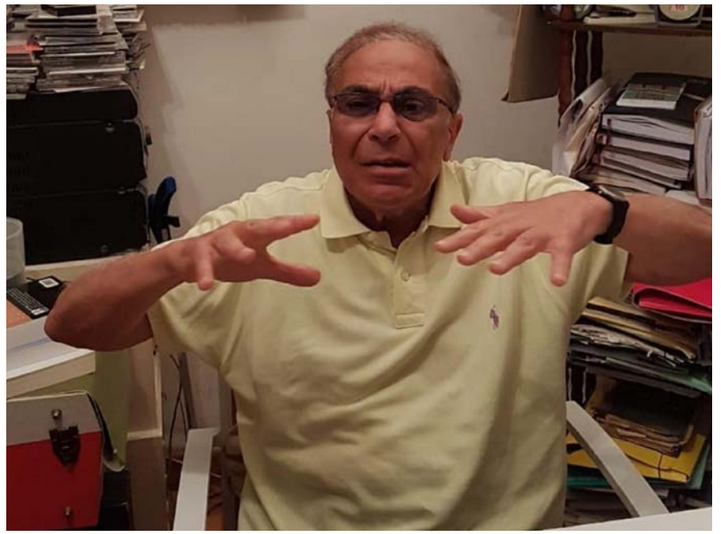
اعتبر ان جمهوري الوفي هو الذي وضع اعلى رتبة من النياشين على صدري.

■ تمسكت بتقديم الاعمال الساخرة لكن الخالية من الكلمات النابية، لماذا؟

□ منذ البداية، قررت عدم تضمين اي كلمة نابية في اعمالي، فالسخرية ضمن حدود الاحترام تضع الاصبع على الجرح بطريقة اكثر فعالية من الشتيمة، وتوصل الرسالة بشكل افضل، الى جانب ان النقد اللاذع يوجع اكثر من الشتائم الرخيصة والمبتذلة، وكل شيء رخيص وسخيف ليس فنا. كما ان تربيتي في البيت والمدرسة والجامعة والمجتمع اللبناني كانت الاطار الذي لم اخرج عنه يوما.

> **بعض المسرح الساخر اليوم يركز على الابتذال ودغدغة غريزة الجمهور**

■ تعتبر من رواد المسرح الساخر في لبنان، كيف هو وضع هذا النوع المسرحي اليوم؟ وهل هناك ورثة لسامي خياط؟

□ بعض المسرح الساخر اليوم يركز على الابتذال والاستسهال ودغدغة غريزة بعض الجمهور الذي يفتش عن الكلام النابي، والقفشات التي تتخذ طابعا جنسيا. ويالاسف، هذا هبوط يشعرني بالخجل، ولا يولد تيارا فنيا اصيلا في لبنان، مع احترامي الكبير للفنانين الذين لم يتورطوا في هذه اللعبة. في خصوص الوريث، حقيقة لا احد يرث احدا، لان لكل فنان اسلوبه وبصمته الخاصة.

■ هل يمكننا القول ان مسرح سامي خياط ظل محصورا بشريحة اجتماعية معينة هي الطبقة الفرنكوفونية؟

□ لا يمكن القول ان جمهوري محصور بالطبقة الفرنكوفونية لان مسرحياتي كانت تسقطب خمسين الف وستين الف مشاهد، وتستمر عروضها سنة كاملة. اعتقد انه اذا اجرينا احصاءات، سنرى انهم ليسوا جميعا فرنكوفونيين، بل ربما انهم تواقون جميعا الى اللغات الاجنبية والفن. طبعا، العنصر الاساسي من الجمهور هو فرنكوفوني حكما، لكنني اتمتع ايضا بجمهور غير فرنكوفوني، واصلا يكتنف مسرحي تنوعا كبيرا، الى درجة ان اي شخص، اكان يعرف لغات اجنبية او لا يعرف، يستطيع ان يفهم المسرحية المعروضة، لان الفن المسرحي الذي اقدمه وما زلت لغاية اليوم، هو لكل الناس، بل هو للاولاد ايضا ولكل طبقات المجتمع اللبناني رغم انهم يصنفوني انني محصور بالفرنكوفوني، ولم لا؟ فاللبناني انسان مثقف يفتخر دوما بانه يجيد لغات عدة، حتى انه حين يقدم سيرته الذاتية، يضع الانكليزية والعربية والفرنسية كلغات يجيدها، واحيانا يضيف اليها لغات اخرى (يضحك).

■ اخبرنا عن علاقتك بلغة موليير؟

□ علاقتي باللغة الفرنسية قديمة ومستمرة، لانني تربيت في كنف هذه اللغة في البيت اولا، فعائلتي كانت فرنكوفونية تتحدث الفرنسية في المنزل، الى جانب العربية والانكليزية. لاحقا، تعلمت في مدرسة الجمهور التي كانت رائدة في اللغة الفرنسية ايضا، ثم اكملت تعليمي في جامعة القديس يوسف، الى جانب ان اصدقائي جميعا هم فرنكوفونيون. في اختصار، كنت محاصرا بهذه اللغة، لكن هذا الحصار كان جميلا، واحببت هذه اللغة بارادتي. صحيح انه يقال بانها صعبة، لكن هنا يكمن التحدي الكبير بان نتعلم لغة ليست لغتنا الام، ونجيدها ونكتب بها ونقدم بها اعمالا فنية رغم صعوبتها.

■ كيف تنظر الى الوضع اليوم في لبنان؟ وهل يلهمك افكارا لاعمال مسرحية جديدة؟

□ لا شك في ان الوضع في لبنان مأساوي على جميع الاصعدة، صحيا بوجود هذا الوباء الخطير، واقتصاديا وسياسيا واجتماعيا. فعلا، انها المرة الاولى التي نعيش فيها ظروفا مماثلة حتى في عز الحرب اللبنانية. وهذا لا اقوله وحدي، بل ان كل الناس يشعرون به. هل هذا الامر يلهم الفنان؟ طبعا يلهمه. كل شيء خارج عن الطبيعة والمألوف والحياة الطبيعية يلهم الفنان، اكان رساما او نحاتا او راقصا، او مطربا او مسرحيا لانه سيحاول ان يستخرج من هذا الوضع مواد للفكاهة والترفيه من جهة، ومن جهة اخرى للانتصار على المأساة. فالفكاهة هي انتصار للعقل على المأساة. طبعا، لدي اطنان من الافكار، لكن لا استطيع الان ان احدد موعدا لاستئناف نشاطي المسرحي، لكن حالما تسنح الفرصة، ساترجم هذه الافكار التي اعاني من تضخم فيها تماما كما التضخم الذي نعانيه في العملة اللبنانية ويالاسف (يضحك).

س. م

من مسرحياته

"بدا بوم".

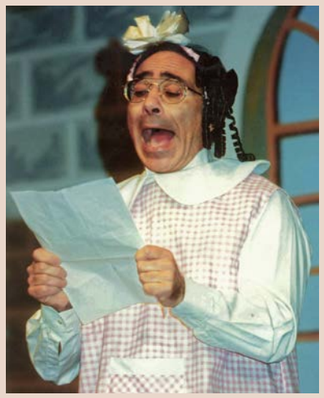
"كليب سندويش".

"ابوكاليبس".

"سلام دايت".

"انفلونزا النجوم".